استدعاء الموروث التاريخي في مسرحية / منمنمات تاريخية

للكاتب المسرحي/ سعد الله ونوس

د/ كمال حامد الديب*

Abstract

This paper studies the employment of "historical legacy" in Saadallah Wannous's "Munamnamant Tarikhya" (A Historical Mosaic). After reviewing the historical events that the Levant underwent in the wake of the Tamburlane invasion of the region, the study presents a panoramic view of Damascus society as dramatized in the play. The play shows how the Damascus Society was dominated by disorder, disintegration and instability as regards the Sultan in his regime, the scholars in their sophistry, and the merchants in their sailfish practices. It finally shows how those historical conditions have been projected into our contemporary society by using such technique as employing historical legacy.

ملخص

يقوم البحث على دراسة استدعاء الموروث التاريخي في مسرحية (منمنمات تاريخية) للكاتب المسرحي: سعد الله ونوس، حيث اختار جانباً مهماً من تاريخ غزو تيمور لنك التتري لبلاد الشام. وقد كشف بوضوح عن ضعف المجتمع العربي وتفككه من حيث الخلافات بين النقليين والعقليين، ومواقف العلماء عامة، وموقف ابن خلدون خاصة، وطبيعة السلطة الحاكمة، وقد أدى ذلك إلى الهزيمة .. وبطريقة فنية فذة أسقط الكاتب تاريخ تلك المرحلة على المجتمع الحالي عن طريق الاستيحاء والمزاوجة بينهما.

* أستاذ النقد الحديث المشارك قسم اللغة العربية – جامعة الأزهر بغزة .

تقديم :

يستطيع الكاتب أن يعقد مواءمة بين التراث في حقبه المختلفة وبين الواقع المعاصر المعاش، فيقوم باستدعاء نمط تاريخي معين، سواء حادثة أو شخصية، ويجعله موحياً ومعبراً عن الأحداث الجارية التي تمر آنيا في حياتنا. وفي ذلك يستخدم آليات فنية تقدم الواقعي والتاريخي في نسيج واحد متكامل، أحدهما يعبر عن معني بارز، والآخر يمكن استيحاؤه بالتدبر والتأمل حتى يمكن كشف المعاني العميقة التي تختفي خلف ما هو ظاهر ومكشوف.

ولعل من التزيد في القول، بأن هذه العملية الفنية الباهرة في أحياء التراث التاريخي، لها أهمية قصوى في تعميق اتصالنا بالجذور التي تمتد فينا – المشرق منها والمعتم – حاضراً ومستقبلاً، ولا بد عندها أن نمحصّها وأن نقوي القيم الإنسانية فيها، وأن نتلافى المراحل الصعبة التي وقفت وتقف في طريق استشرافنا للمستقبل.

ولقد سار الكاتب المسرحي سعد الله ونوس على هذا الطريق في معظم مسرحياته، وقد اخترنا منها مسرحيته الشهيرة منمنمات تاريخية، والتي رجع فيها إلى حقبة سوداء من تاريخنا الغربي الإسلامي ليعادل بها واقع حالنا المعاصر، الذي وسم في كثير من حالاته بالتراجع عن مستوى الحضارة التي ارتقى إليها الآخرون.

وكان أبرز ما أثر في هذا الكاتب – وفي شعوبنا عامة – تلك الهزيمة التي منينا بها في عام 1967م، وقد كنا نأمل فيها أن نترسم خطى الشعوب الناهضة التي تتسارع في سبيل التقدم والبناء، فكرياً وثقافياً، وقدم لنا مسرحياته منذ تلك الكارثة معبراً عن هولها وعن مدى التشرذم الذي وصلنا إليه من تفكك وضعف جعلنا أيتاماً على موائد الطامعين في أرضنا وفي خيراتها.

و المسرحية المذكورة طبعت في العام 1996م أي بعد ما يقرب من ثلاثين سنة من الهزيمة التي كانت تمثل بداية لتراجعات كبيرة ما زلنا نشهدها حتى يومنا هذا.

استطاع الكاتب سعد الله ونوس أن يعود إلى مرحلة سوداء من تاريخنا، قلّ ما فطن الكتاب أو الشعراء إلى استلهامها، وهي الواقعة التي تمثل قدوم تيمورلنك إلى الشام غازياً ويُعمل الدمار والتخريب في حلب وحماة ودمشق، ويسجل الكاتب بأمانة واضحة حال الأمة في ذلك الحين، وخاصة موقف الحكام، والعلماء، وبعض قطاعات المجتمع: وكيف واجهوا الغزو الذي استهدف بلادهم، ليخلص في النهاية إلى معادلة ما جرى في الماضي بما يجرى الآن، من انقسام وتشرذم، وتكالب على كل ما يبعدنا عن مستقبلنا الذي يليق بنا والذي نرنو إليه، ومن خلال هذا المشهد الدرامي المروّع يلفتنا الكاتب لنتملّى واقعنا بجدية حتى نستطيع أن نثور عليه ونعمل على تغييره لأن الأمل ما زال يسطع في النفوس ويحرض العزائم، وتلك هي الطريق التي يسلكها سعد الله ونوس في مسرحياته حيث يترك فيها هامشاً للخلاص، وتلك رسالته الموضوعية التي اكتنزت بالتكنيك الفني المتجاوز والمتميز.

مدخل

التعريف بتيمور

نبذة تاريخية:

ولد تيمور في سنة 736 هـ بقرية خواجا إيلغار، وقد أحب في صباه ركوب الخيل، كما أجاد الرماية، وقد استخدم تلك الموهبتين في قطع الطريق على المسافرين، وسلب ممتلكاتهم ومن ثم توزيعها بين مريديه، ولكنه جرح في بعض غاراته التي كان يشنها، ولذا أطلق عليه تيمور لنك أي تيمور الأعرج، كما أن كلمة تيمور تعني بلغة التتار (الحديد) فيصبح معني اسمه الأعرج الحديدي. [1]

قيل لم تكن له صلة رحم مع جنكيزخان مباشرة أو غير مباشرة ولكن وجد على شاهد إحدى القبور وجود نقش يرد فيه اتصال نسبه بجنكيزخان، وأنهما ينحدران من صلب واحد [2]، إلا أن البعض ينسب إلى تيمور زعمه باتصاله بجنكيزخان وأن هذا الزعم غير حقيقي [3] على الرغم من أنه ورد في كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة غير ذلك، وأن تيمور ينتسب إلى جنكيزخان من جهة أمه. [4]

زُعم أنه ليلة ولد، رُئي كأن شيئاً يشبه الخوذة، تراءى طائراً في جو السماء، ثم وقع على الأرض في فضاء كبير، فتطاير منه جمر وشرر حتى ملأ الأرض، وقيل إنه لَما ولدته أمه، وجدت كفاه مملوءتين بالدماء [5]، ولا نستطيع إلا أن ننسب ذلك إلى انتحالات روائية تفسر جبروته ودمويته حينما أصبح كبيراً وبدأ غاراته ثم غزواته التي أحدث فيها فظائع رهيبة ومذابح مخيفة، وعلى سبيل المثال فقد قيل إنه قتل في مذبحة أصفهان سبعين ألف رأس، بنيت منها منارات عالية تنفيذاً لأوامره بعد أن عقدوا باللبن والطين، كما أنه في حملته على الهند قتل مائة ألف أسير هندي دون رحمة[6]. وهذا ما فعله في بلاد الشام، حلب، وحماة، ودمشق، كما سنبين خلال دراستنا.

استدعاء التاريخ الدمشقي في عهد تيمور

قام الكاتب بتفصيل أحوال المجتمع الدمشقي إبان مجيء تيمور غازياً، فاستعرض أهم ما ترتكز عليه الأمة في نهوضها أو في تداعيها، في قوتها أو ضعفها، لذا تحدث عن الخلافات القائمة حول علم الكلام بين العلماء، خاصة ما يتعلق بالسلف من النقليين، في مقابل العلماء الذين اعتمدوا على العقل من القدرية أولاً والمعتزلة ثانياً، كما أشار إلى نموذج العالم المتخاذل المداهن الذي لا تهمه كرامة الأمة وعزتها، ولا يخفى ما للعلماء من أمانة إذا لم تكن في مكانها فإن ذلك سوف يؤثر على المجتمع بكامله، كما تعرض الكاتب إلى شخصية العالم ابن خلدون وإلى مواقفه إبّان تلك المرحلة وأثار حوله جملة من الأسئلة المحيرة حول علاقته بتيمور لنك من جهة والمجتمع العربي الإسلامي من جهة أخرى، ثم تحدث عن المجتمع بعامة، وبين كيف آل إلى التفكك والتردي، وشيوع الفساد فيه، وإن هذه الأحوال المتعددة- ورمز لها غالباً بشخصيات محددة- كان الكاتب أميناً في سردها، وفي حدوثها حقيقة، وقد عمل على ترسيخ هذه الحقائق باستخدامه أسلوباً فنياً خاصاً، إذ وسم فصول مسرحيته بتفصيلات، وكان يفصل بين التفصيلات بسرد لوحة من التاريخ نفسه بدأ كل لوحة بعبارة (مؤرخ قديم) ولكنه كان يضع في نهاية كل لوحة إشارة رمزية موحية بالحالة الكارثية التي تحدث للأمة، بوصف حالة (بردى) وبالكلام عن المطر شدة أو ضعفاً.

ولكن عرض الكاتب للتاريخ لم يكن تسجيلاً محضاً، وإنما بلغ غاية فنية في المزاوجة بين الأمة بكل شرائحها وبين مجتمعنا المعاصر الذي يتعرض – بعد هزيمة 1967 م – إلى سلسلة من الهزائم السياسية والفكرية والثقافية، وتحط من مستوى الحالة المجتمعية التي نعيشها، وسنعرض لهذه المعادلات بين التاريخ والحاضر في شكل النماذج والشخصيات المحملة بالأحداث المختلفة، لنرى إلى أي مدى يكرر التاريخ في –

تلك الحقبة – نفسه، ويفسر لنا سر اندحار حضارةالعرب المسلمين، وتردى الشخصية المحورية التي يعقد عليها الأمل في نهوض الأمة وتطورها، ليعطى الكاتب درساً على أصل الهزائم وكيف تتأتى في شكل فني بارع، باستخدام وظيفة التراث في تقديم الحاضر والمستقبل.

العلماء بين النقل والعقل

في وقت الاسترخاء والسلام، وضمان كرامة الأمة وتأمين حدودها وأطرافها، يمكن الانشغال بمسائل علم الكلام، وتدبّر مباحثه، بما ينتجه من خلافات قد تصل أحياناً إلى حد التكفير والاتهام بالزندقة، ولكن أن يصل الأمر إلى أن الأمة في خطر محدق، وأن يكون الطاغية تيمورلنك على أبواب دمشق بعد أن استحل (حلب) و(حماة) وأعمل فيهما تخريباً وتدميراً – فلا يصح أن يتجادل المسلمون في تلك الأمور، ومنع بعضهم من الاشتراك في ملاقاة العدو بحجة أنه (قدري) ولأن ذوي السلطة من (الجبريين) أو خلاف ذلك.

وبعد أن لم يعدّ العلماء للأمر عدته إلا بكلام نظري لا يقدم ولا يؤخر، يصل أحياناً إلى حد السخرية لا يبقى أمامهم سوى مشكلة (ابن الشرائجي):–

ابن النابلسي : بقيت مسألة جمال الدين الشرائجي

التاذلي : نعم هذا الضال (ينادي) هاتوا ابن الشرائجي

ابن النابلسي : يجب أن نجعله عبرة لأهل الضلالات والأهواء

التاذلي : لا تسامح مع الذين أزاغ الله قلوبهم

التاذلي : أتخلط في الدين يا ابن الشرائجي

جمال الدين : جفوت مجلسك يا شيخ حين عرفت أنك رقيق العلم والدين ... .[7]

وما خلطه في الدين سوى أنه يخوض في القدر ليرد (ابن مفلح) بقوله "إن القدرية مجوس هذه الأمة". [8]

وهذا القول هو من حديث النبي صلى الله عليه وسلم[9] ومن أجل ذلك سمّاهم خصومهم بالقدرية للإساءة لهم[10] وخاصة أن هذه التسمية دخيلة عليهم، وفي ذلك أيضاً يقول حسين مرّوة في كتابه النزعات المادية:

"الأرجح أن خصومهم، وخصوم المعتزلة بعد ذلك هم الذين ألصقوا بهم هذا الاسم قصد تشويه سمعتهم مطبقين عليهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: القدرية مجوس هذه الأمة" ويقترح لذلك اسماً آخر هو العدل أو التوحيد. [11]

ويقوم الصراع في المسرحية بين مجموعة العلماء النقليين وبين القدريين الذي يمثلهم جمال الدين ابن الشرائجي:-

التاذلي : أتخوض في القدر يا ابن الشرائجي !

جمال الدين : ما وهبنا الله العقل إلا لكي نفكر ونتأمل ونعتبر، قال سبحانه وتعالى "فاعتبروا يا أولى الألباب".

التاذلي : ألا تعلم أن الجدل في الدين فتنة؟

جمال الدين : قال سبحانه وتعالي: " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن".

ابن العز : هذه مقالات الكفار من المتكلمين والفلاسفة.

جمال الدين : وهل يكفّر الإنسان إذا عزز الإيمان بآيات العقل؟

ويُكفّر ابن الشرائجي، ويستمر السلفيون في مساءلته عن القدر خيره وشره، فيشهد أمامهم بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، مؤكداً إيمانه، وأنه يؤمن بالله وملائكته

وكتبه ورسله، وأنه منقطع عن الدنيا إلى العبادة والدراسة، ولكنهم يصرون على أن يجيبهم عن القدر، فيرد عليهم بما يؤكد إيمانه بالقدرية:

(إن الله سبحانه وتعالى عادل، وإنه لا يأمر بالظلم أو الفساد، إذا لم تكن كلفة، لم تكن مثوبة، ولولا الإنسان مخير وحر لما قال الله في كتابه العزيز "فما لهم لا يؤمنون" ولما قال "وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر" فلو كان هو الفاعل لأعمالهم لما خاطبهم ولا مهم على ما كان منهم من تقصير ... إنه يخاطبنا نحن الذين نعقل ونفهم، إنه يخاطبنا لأننا أحرار ... نعم .. هذا هو الدين إننا أحرار ومخيّرون).[12]

وحينما يسمعون هذا الحديث يتهمونه بأنه شيطان رجيم، وأنه ضيع نفسه، ويتناول أحدهم كتباً من أحد المعممين ويرى أن تلك الكتب هي من ضلالات الشيطان، ولم تكن هذه الكتب إلا لمن يقول بالقدرية، فأحدها (في الرد على الجهمية والمجبرة)[13] والآخر كتاب (المغني في علوم التوحيد والعدل) وغيرهما.

وبعد اتهامه وتقريعه وجرّه، ومطالبتهم بإقامة الحد عليه يقول لهم:

(ما أتعس حالنا إذا كان علماء الأمة

يسمّون الاجتهاد والعلم كفراً).

ويحرقون الكتب التي يتداولها ابن الشرائجي، ثم يطيلون في الكلام عن الجهاد، وأنهم أصدروا فتوى بذلك، ليقاتلوا عدو الله تيمور اللعين.

هذا مشهد من حال العلماء لم تكتمل فصوله بعد، وما تلك الصرخات بالجهاد، والدعوة إلى الوقوف صفاً واحداً في وجه تيمور، إلا جعجعة يتلوها استسلام العلماء، وتقديم البلد والأمة لقمة سائغة يضعونها بين فكيه الدمويين. ولم يرتق كلامهم إلى مستوى الفعل الحقيقي المقترن بالإيمان الصادق.

ونكاد نجزم بأن حال علمائنا في وقتنا هذا لا يختلف شيئاً عن الماضين، فهم يبدون غير ما يبطنون، وهم يتملقون، ولا يصدقون، وهم يبعثرون جهدهم في الهامشيات دون الأساسيات، وهاهو ذا حال الأمة الآن ، تكالبت عليها الأمم وفشل ريحها، ويتربص الأعداء بما يتبقى منها، ولا نجد من العلماء موقفاً يقود هذه الأمة إلى الطريق الصحيح، ولا نجدهم يؤدون الأمانة التي ائتمنوا عليها، فالمقايسة بين تاريخ تلك الحقبة السوداء، وما نحن فيه، متطابقة تماماً، واستطاع الكاتب أن يزاوج بينهما، وحينما تحدث عن التاريخ أوحى لنا بالحاضر، ولا نجد من علمائنا إلا أنهم يؤيدون ما يرفضون بالأمس، ويداهنون السلطان، ويغيّبون قضايانا الأساسية، أو يغيبون عنها، أو يحسنون الخطابة ، وفي المواقف التي يعز فيها الرجال ينصرفون لينغمسوا في البحث عن الترف وزينة الدنيا.

وفي نهاية المشهد المسرحي نجد ابن التاذلي يرتجل خطبة عصماء، يذكّر فيها الناس باتقاء غضب الله إذا رقّ إيمانهم، ويحثهم على الإيمان بالله والجهاد في سبيله، ويعلن لهم أنهم أمام شدة، وأن تيمور يترصد لهم، وما على العلماء إلا أن يدعوا الناس إلى تجارة تنجيهم من عذاب أليم وأن يفتحوا مصاحفهم، وأن يمضوا على بركة الله.

وفي آخر المشهد، يلجأ الكاتب إلى نوع من السخرية المريرة، ليضيئ وعي القارئ، لكي يدرك أن كلام ابن التاذلي، وما جرى من أحداث سبقت : أمر يدعو إلى العجب، لأن القول لا يصل إلى مستوى الفعل، وهذه الإضاءة – فيما نري – هي الضمير الحي الذي يكشف الزيف، ونعني بها شخصية شعبان التي تمثل القفلة بعد كل تفصيل أو مشهد ليقول:

شعبان : يمّه، يمّه أريد بزك يمة

(يقترب من النار يتدفأ ثم يدور حولها)

أين أنت يمّه .. حليب حليب يمة

(فجأة يتوقف .. يرفع أذيال قمبازه ثم يبول على النار) [14]

جرت العادة في كتابات سعد الله ونوس المسرحية أن يترك فيها – رغم سواد أحداثها – خيطاً رفيعاً من الأمل، وهاهو ذا (شعبان) يمثل الرجل المتمرد الذي يرى الأشياء على حقيقتها دون زيف، ويبحث عن الأمل المرجوّ، ويسعى إليه.

وكأن الكاتب يريد أن يترك لنا أملاً، نحن العرب الذين أُصبنا بالهزيمة، وأن بصيصاً من الأمل ما زال يشتعل في نفوس الذين يبحثون على الخلاص.

وتصوير الكاتب (لشعبان) وكأنه طفل صغير يبحث عن ثدي أمه ليرضع منه، يدل على أن الأمل ما زال في مرحلة الطفولة، وأنه يحتاج لكي يكبر، إلى وعي الأمة الحقيقي، المتمثل في ضمائر المخلصين فيها، ولذا فهو ينادي أمه لترضعه حليبها.

تهافت العلماء

يقول التاريخ إنه لما أبيحت مدينة حلب وجرى فيها النهب والسلب، وبلغ عدد من قتل منها نحو عشرين ألفاً نضدت رءوسهم في كومة بلغ ارتفاعها عشرة أذرع، وبلغ مدارها عشرين ذرعاً – توجه تيمور إلى دمشق التي صمدت حوالي ثلاثين يوماً ثم استسلمت، قيل حوصر ثلاثون ألفاً من سكانها رجالاً ونساءً وأطفالاً في جامعها الكبير، ثم أضرمت النيران، فأتت عليه، ولم يبق منه إلا الجدران، [15] ويقول صاحب النجوم الزاهرة:

"وصارت النساء تفتضّ من غير تستر، والمخدّرات يفسق فيهن من غير احتشام، بل يأخذ التتري الواحدة ويعلوها في المسجد والجامع بحضرة الجم الغفير من أصحابه .. فيراها أبوها وأخوها وزوجها وولدها ولا يقدر أن يدافع عنها لقلة مقدرته، ولشغله

بنفسه بما فيه من العقوبة والعذاب، ثم ينزل عنها الواحد فيقوم لها آخر وهي مكشوفة العورة". [16]

إذاً فقد وقعت الكارثة ونكبت الشام بما حل بها من انتهاك للممتلكات واغتصاب للعزة والكرامة، وكان أحد أسباب تلك الهزيمة هم العلماء وتخاذلهم، ليس فقط لانصرافهم في مجادلة بعضهم، بل أكثر من ذلك لضعف نفوسهم وتخاذلهم وقلة إيمانهم الصادق بمفهوم الجهاد.

في أحد المشاهد، وعند الاستعداد للقتال يرتجل برهان الدين التاذلي خطبة حماسية، ليقوي فكرة الجهاد في نفوس المجاهدين الذين يتأهبون لملاقاة تيمور ويضمنها حلمه، حيث رأي النبي – صلي الله عليه وسلم، الذي كلمه، وقال له : "لن يكون الموت إلا كعبور جدول من الماء العذب" وهو (أي الله تعالي) وسط الخضرة ينتظرنا على الضفة الأخرى، وأدعى التاذلي أمام الجموع أنه يتأهب للشهادة، وأنه سيصلى على نفسه صلاة الغائب. [17]

إن نموذج التاذلي في المسرحية يمثل الرجل الذي لا يمتلك إلا لسانه، وبعض القناعات الدينية، في أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يدبر الأمور ويهيئها، وأن النبي صلوات الله عليه وسلامه، يقف مع المسلمين، ويظل الأمر متروكاً لله ونبيه دون أن يبادر المسلم بفكره وعقله إلى إحراز ما يأمل أن يحققه، فالاعتماد على الله دون عمل لا يحقق النتيجة المرجوة.

ويجتمع العلماء، ليتدارسوا أمر الأمة ومصيرها، ويبادر قاضي القضاة، تقي الدين بن مفلح الذي يسأل عن الصواب مستعيناً بالله، ويرد عليه النابلسي موافقاً على سؤاله، ولنستمع إلى الحوار التالي:

ابن مفلح : طوال الليل وأنا أفحص هذا الأمر، وما حصلت على زبدة أو جواب

دلامة التاجر : ليس الظرف مناسباً للمداورة ومداهنة العامة كلنا يعرف ما هو الصواب في حالتنا.

ابن العز : صحيح ينبغي أن نكون صلاباً في موقفنا وقساة مع الناس في حملهم على رأينا.

ابن مفلح : هل يعني ذلك أنكم متفقون على أن تسليم المدينة هو الصواب.

دلامة : لا تتلاعب يا ابن مفلح، أنت أكثرنا يقيناً بأن هذا هو الصواب.

ابن العز : ولا تنس يا ابن مفلح أن أرزاقك خارج السور وأننا إذ لم نسلم بالأمان، لن تستطيع حماية شيء من أرزاقك.[18]

ذلكم هو حال علماء الأمة، وهذا هو قرارهم بالتسليم، في الوقت الصعب، رغم أن الأسوار قوية، والشباب يبدون اندفاعاً وحماساً للقتال، ولكن العلماء حكموا مسبقاً بالهزيمة وأرادوا أن يسلموا المدينة لتيمور.

وذلكم هو حال علمائنا في الوقت الحاضر، فإن الفتاوى تتقاطر لتبرر الهزائم، وتدافع عن المتخاذلين، ومع احترازي بعدم التعميم، لكن الظاهرة منفشية في أن العلماء مستسلمون، ويجدون ألف ذريعة للدفاع عن التخاذل والاستسلام، وتنطلق الحقيقة حينما (يباعد الشخص بينه وبين الشخصية) ليصف مؤرخ قديم شمس الدين النابلسي:—

" لم يكن بالمرضي في شهادته ولا قضائه وباع كثيراً من الأوقاف ..."

أما ابن العز: "فقد دخل في المنكرات ... وخطب في الجامع باسم تيمور، ودخل في المظالم وبالغ في ذلك فكرهه الناس ومقتوه"

أما ابن مفلح :" ... لما جاء تيمور خرج إليه ومعه جماعة وجرى منه لأهل دمشق أمور، وتفاقم الأمر وحصل عليه تشويش من تيمور فعذب حتى أعطب".

أما دلامة : " فقد أخطأ المؤرخ حين أهمله وجهل قدره فلم يعرّفه".[19]

تلك كانت حالة الشام في ذلك العهد، فلم يكن القائمون عليها أمناء على مصيرها، وإذا كانوا يلبسون عمائم القضاة والمفتين والمتكلمين، إلا أن نفوسهم كانت خائرة، وتطلعهم إلى الدنيا كان كبيراً، ولم يكونوا يتمتعون بالمصداقية، ولم يكونوا كذلك أهلاً لحمل الأمانة الملقاة على عاتقهم، فهم قادة الفكر، وهم الذين ينيرون الطريق للأجيال ويرشدونهم إلى الطريق السديد، هذا هو ما ينبغي أن يكونوا عليه، وهذا أيضاً هو شأن العلماء في عصرنا، وشأن المثقفين أيضاً الذين يحملون رسالة العلم، فقد دب فيهم الخور، واستحكمت بينهم الفرقة، ولم تجد السفينة من يقودها إلى بر الأمان، فتعرضنا للاستعمار، وابتلينا بالهزائم.

العلاّمة ابن خلدون

أثارت المسرحية كثيراً من التساؤل حول شخصية العالم ابن خلدون، الذي عاصر حملة تيمور إلى الشام، فهو لا يتوقع النصر للمسلمين لأنهم تركوا العصبية وهي شرط مهم عنده لإحراز النصر، ولإقامة الملك، وللدفاع عن الدين، وبدون تلك العصبية لن يتحقق شئ من ذلك:

"العصبية هي أن يذبَّ الرجل عن حريم صاحبه" [20]

"إن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة" [21]

"فصل في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم" [22]

"كان القضاء في الأمر القديم لأهل العصبية من قبيل الدولة ومواليها". [23]

وقد استدعى الكاتب فكرة ابن خلدون حول العصبية في مسرحيته:—

شرف الدين: .. وهل هناك رجل سواك يمكن أن توضع هذه الأمانة بين يديه.

ابن خلدون : أية أمانة.

شرف الدين: أن تهدئ روع الناس وتحملهم على الجهاد.

ابن خلدون: ألا تعلم يا شرف الدين أن صبغة الإيمان حالت،وأن عصبية العرب زالت،وأن الجهاد لم يعد ممكناً .. لا .. لا يتحدث عن الجهاد هذه الأيام إلا رجل يضرب في الوهم أو يريد أن يلبّس على الناس.

شرف الدين: ... إن أهل الشام يبدون عزماً على القتال، وهم لا يحتاجون إلا عالماً مثلك، يشد أزرهم، ويضئ قلوبهم ..

ابن خلدون : ماذا تخرّف يا شرف الدين، أتريدني أن أتحول إلى القتال، هل جئت إلى دمشق مقاتلاً أم عالماً. (24)

فابن خلدون يخلص لرسالته العلمية من جهة، ولا يتوقع النصر للمسلمين دون عصبية من جهة أخرى، وهو يعارض "التاذلي" من جهة ثالثة لأنه – كما يري – من الموسوسين، الذين يركنون إلى انفعالية الدهماء، ولا يعرفون أن ملاقاة العدو لا تكون دون عصبية :

"فيحسبون أن هذه الدعوات يمكن أن تصل بهم إلى ما يأملون من الجاه والرئاسة وهي لا تصل بهم إلا إلى الهلاك". (25)

ويصم ابن خلدون هؤلاء الموسوسين بأنهم عميان البصيرة، يرمون أنفسهم إلى التهلكة بما لديهم من غفلة، لأنه ليس لديهم عصبية، وأن هياج العامة والدهماء ليس من العصبية في شئ ويقول ابن خلدون:

"والناس هنا أهل مدينة وحضارة، بلغ فيهم الترف غايته، وسقطت منهم العصبية بالجملة، يلبسون على أنفسهم في الشارة والزيّ وحمل السيف والرمح يموّهون بها، وهم في الأكثر أجبن من النسوان في الحماية والمدافعة". (26)

ولكن شرف الدين – تلميذ ابن خلدون – يظل حائراً متسائلاً، ويوجه لأستاذه السؤال الذي أرجأ ابن خلدون الإجابة عنه، وهو أنه يؤمن أن يكون العالم محايداً ونزيهاً ويسجل الأحداث بأمانة، ولكن هل يكون العالم محايداً أيضاً إزاء أحداث عصره والمحن التي تصيب قومه.

ولا يجيب ابن خلدون على سؤال تلميذه، وهنا يثار التساؤل حول شخصيته العلمية الحيادية تجاه قومه من المسلمين، إلا أننا نجده يتخاذل أيضاً ويتخوف من تيمور عله يظن أن خلاف الناس حول التسليم من عدمه، يكون وراءه ابن خلدون، لذا يقرر الذهاب لتيمور خاصة أنه قد سأل عنه، ويحاول شرف الدين أن يذكره بأن نائب القلعة لن يستسلم ومعظم الناس يطلبون القتال، إلا أن ابن خلدون كان قد جهّز نفسه واشترى الهدايا التي يريد أن يقدمها لتيمور. [27]

ولم يكن ونوس قد خرج عن حقيقة التاريخ في حديثه عن ابن خلدون، إذ أن كل ما أورده صحيح، فلنستمع إلى ما يقوله ابن خلدون نفسه في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر" :

"وأخبرني القاضي برهان الدين أنه سأل عني ... "
"فلما وقفت بالباب خرج الإذن باجلاسي في خيمة
هنالك تجاور خيمة جلوسه، ثم زيد بالتعريف
بأسمى أنى القاضي المالكي المغربي، فاستدعاني ودخلت
عليه بخيمة جلوسه، متكئاً على مرفقه، وصحاف
الطعام تمر بين يديه، ومد يده إليّ فقبلتُها ..." [28]

ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل طلب منه تيمور أن يصف له المغرب ومسالكه، وقد وافق على ذلك، وقدم لتيمور وصفاً تفصيلياً بكل ممالك المغرب، رغم اعتراض تلميذه شرف الدين: (29)

"واشتغلتُ بما طلب مني في وصف بلاد المغرب فكتبته في أيام قليلة ودفعته إليه فأخذه من يدي وأمر موّقعه بترجمته إلى اللسان المغلي". (30)

وهكذا تثار الأسئلة حول شخصية ابن خلدون، فهل هو عالم واقعي أدرك أن الهزيمة واقعة لا محالة، ولذا تجنب السير مع الدهماء كما كان يسميهم، أم أنه انحرف قليلاً حينما غامر بمقابلة تيمور وتقبيل يده، وتقديم الهدايا له (31). ومبايعته على أرض المسلمين، وتقديم تخطيط بمدن الغرب له، إنه لأمر محير، في شأن هذا العالم الذي ترك لنا علماً غزيراً في مجالات شتى.

ولكننا في النهاية لا يسعنا إلا أن نضع ابن خلدون في سياق العلماء الذين لم يكونوا أمناء على الأمة على اختلاف مواقفهم.

ولو قاربنا بين ما حصل لابن خلدون كنموذج لتصرفات معينة، وبين ما يحدث عندنا الآن، لوجدنا أن بعض العلماء يتصرفون تصرف ابن خلدون، ويسلكون مسلكه وحسبنا بعض الذين يجلسون إلى أعداء الأمة ويتعاونون معهم.

موقف السلطان

نعيش مع حكام عصرنا في حالة صعبة، فهم لا يتوحدون، وهم حريصون على كراسيهم أكثر من حرصهم على مصلحة الأمة، وقد تركوا للأجنبي مساحة واسعة في بلادهم للتحكم في اقتصاد دولهم، وتسيير شئونهم السياسية وحتى الاجتماعية، يتخاذلون أمام القضايا المصيرية التي تحدد للشعوب العربية والإسلامية مستقبلها،

يرضون بالدنّية في سبيل إرضاء الأجنبي الذي يتملك القوة، ويستعينون به على بعضهم إذا ألمت بأحدهم ملمّة، أحس بأن سلطته على وشك السقوط، ويقف الضمير الحي في مواجهتهم في حيرة وعجب واستنكار، ولكن طغيان الظلم يجرف معه الأصوات المنادية بالمصير الواحد للأمة، وإنه إذا اشتكى عضو فيها تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي أوصل الإنسان العربي المسلم إلى حالة من الحزن والضجر والقنوط من أن ترفع هذه الأمة رأسها، وتتجنب هزائم متلاحقة تمر بها.

عاش الكاتب هذه التجربة بمرارة فأراد أن يستوحي لها من تاريخنا حالة مشابهة تتماشى طردياً مع ما نعيشه الآن، وترك هذه التجربة مضمره في ذاته بل في ذات كل عربي، واستحضر التاريخ ليوحي بهذه التجربة جاء في المسرحية قول ابن خلدون:

"لما وصل الخبر إلى مصر، بأن الأمير تِمُر [32] ملك بلاد الروم وضرب سيواس ورجع إلى الشام جمع السلطان فرج[33] عساكره، وفتح ديوان العطاء، ونادى في الجند بالرحيل إلى الشام" [34]

وليت هذه الهبّة تكتمل فصولها، ويقف جند مصر، مع جند الشام في وجه تيمور، الذي جاء معتدياً، ولكنه حدث ما كشف أن النوايا في الحرب ليست سليمة، وأن هناك ما هوأقسى منها، وأعني البقاء في السلطة، على رأس الحكم، فقد علم السلطان "فرج" بينما كان في الشام أن في مصر شيئاً يدبّر وأن هناك فوضى واضطراب، قرر العودة وقفل راجعاً، تاركاً الشام وأهله لقمة سائغة لتيمور:

الحاجب: قررنا أن نرحل الليلة إلى مصر.

ازدار : (حاكم قلعة دمشق) والحرب؟

التاذلي : يرحل السلطان .. كأني لم أفهم.

الحاجب : جاءتنا أخبار مقلقة تستدعي رحيلنا بلا إبطاء.

التاذلي: وهل هناك خبر أشد قلقاً من حربنا مع هذا الكافر.

الحاجب : نعم أن يغتصب العرش طامع.

السلطان : "بلهجة صبيانية" اذبحوا الجركسي واحفظوا لي عرشي.

الحاجب : في الجو فتنة، تسحّب أمراء تحت ستر الليل وعادوا إلى مصر كي يولوا لا شين الجركسي.

التاذلي : ما أهمية هذه الفتنة الصغيرة أمام الطامّة التي تهدد الأمة بأسرها، أنترك الخطر الجسيم لنتدارك الخطر الهزيل؟

السلطان : "يهز كتفه التاذلي بغضب" أتعتبر ضياع عرشي خطراً هزيلاً ؟.

وينصرف السلطان وحاشيته لحرب العرش، تاركاً خلفه حرب التتار، لأن الحفاظ على العرش تفوق أهميته كل أهمية، وهو ما نشعر به الآن إزاء سلاطيننا المعاصرين.

لقد جعل ونوس التاريخ الماضي يحكي قصتنا الحاضرة، دون أن يتدخل في تحريك أحداثه، أو تغيير ملامحه، فهو قدم لنا صفحات تاريخية بشكل صادق وأمين، وترك للقارئ استيحاء مدلولاته، واستيعاب مفهوماته، فحينما يشاهد الإنسان هذه الصفحات من التاريخ، بكل ما تحمله من حوادث، فإنه سينصرف بذهنه إلى ما نحن فيه من شر وتمزق، ومن تقديم المصالح الخاصة على مصالح الأمة، كما فعل السلطان "فرج برقوق" الذي جاء ليدافع عن بيضه الدين ويذود عن شوكته، فما أن سمع أن عرشه يمكن أن يهتز في غيابه حتى بادر بالعودة، خاذلاً الأمة والدين.

وكان يمكن أن يصمد في وجه تيمور، وكان يمكن أن يتحرى الأمر على حقيقته، فقد قيل إن ما حدث ما هو إلا من تدبير تيمور نفسه حتى يخترق الجيش الإسلامي ، ويسهل عليه هزيمته وقد كان، وحتى لو لم يكن من تدبيره، فإن الثبات على أرض المعركة ، أهم بكثير من مؤامرة تحاك أو عرش يسقط.

التمزق الاجتماعي

مثلت شخصية (دلامة) في المسرحية جانباً مهماً من حياة المجتمع في ذلك العصر، فهو تاجر لا يفهم الحياة في جميع متجهاتها إلا أنها تجارة، فالعلاقة عنده بين العبد وربه تجارة وسلوكه مع الناس لا يتوقف إلا على عقد الصفقات التجارية، ومستقبل الأمة لا يوزن إلا بميزانها، بل إن كل العقد تحلّها عنده الصفقات، فعلى سبيل المثال نجد أن العالم ابن مفلح يعقد صفقات تجارية تشوبها النميمة ويسودها الاحتكار مع ابن دلامة :-

دلامة: هذا عالم راجح العقل إذا ضاقت سيتولى الأمر، ويعقد لنا الصفقة ما من عقدة لا تحلها صفقة.. هم يبيعون ونحن نشتري. (35)

ولكن ابنه بهاء يحتج على أبيه، ويصحو ضميره:-

بهاء: إننا نستغل محنة الناس يا أبي

دلامة: .. تأمل هذه الدنيا، وقل لي ماذا تكون، إنها دار تجارة، الإنسان فيها يبيع أعمالاً وعبادة وتقوى والله ينقده ثواباً، ومُقاماً في الجنة.

وإن غاية عقد الصفقات عنده تبرر الوسيلة التي يلجأ إليها ، سواء جاءت عن طريق الخداع والاستغلال أو إيقاع الظلم بالآخرين، ويقدم لنا الكاتب هذا النموذج الإنساني الجشع المتآمر على الأمة بأحابيله ودسائسه من أجل الوصول إلى مصالحه

الخاصة، بما لديه من طاقة جبارة للإقناع، فهو يحاور العلماء ويسوّق عندهم فكرة الاستسلام، وعندما يخاطبه ابنه عن ظلم الآخرين، يقوم بإقناعه، بما لديه من حجج وقناعات زائفة.

كما يقوم دلامة بشراء ابنة أحد أبناء حلب تحت إلحاح عازته، ويقابل دلامة هذا الموقف باعتباره صفقة تجارية أيضاً تحتاج إلى مساومة، وتتطلب منه الفحص والتمحيص:

الحلبي : نعم أعرض عليك أن تشتري بضعة مني كي أطمئن، كي يخف حملي ويشبع كلانا.

دلامة : إذن تعال معي إلى الداخل، هذه صفقة لا تعقد بخفة، ينبغي أن نزن ونقلب.

لعل هذه الأحداث تعطي جانباً مهماً من جوانب المجتمع، وإلى أي حد تمكن المستغلون من أبناء الشعب، وكيف وصل الحال ببعضهم أن يبيع أبنائه، ليسد رمقه، ورمقهم.

ولو انتقلنا إلى جانب آخر من جوانب المجتمع، فإننا سنتوقف عند جانب آخر من فساد المجتمع، وتمزق العلاقات الإنسانية فيه، بحيث يخون الصديق صديقه، وحتى الزوجة تشي بزوجها.

ياسمين : أ أنت من وشي به

إبراهيم : نعم أنا الواشي الجبان لقد فقدت احترامي لنفسي، وكنت أعلم أنك لن تقبلي صغاري ولن تستطيعي الامتناع عن احتقاري ..

ياسمين: ولم الاحتقار وكيف أستطيع أن أحتقر شريكي في الوشاية

فهذه ياسمين تخون زوجها جمال الدين الشرائجي ليوضع في السجن وهذا هو صديقه يقوم بالفعل نفسه من أجل هوى زائف ومحرم.

إنه مجتمع من المتناقضات التي يعيش فيها الناس بحيث تشيع فيهم كل الآفات البشرية من كذب ونفاق وخداع وارتكاب الفواحش، وانتهاك الأعراض، وشرب الخمور بحيث يبدو الإنسان في ذلك العصر فارغاً من محتواه الإنساني.

ويتفاقم الصراع الدرامي بين هؤلاء الأشخاص، فالتاجر دلامة يحاوره ابنه، الذي صحا ضميره فتجلى الصراع بين الابن وابنه، بين من لا يراعي قيمة للضمير، وبين من يعذبه ذلك الضمير، ويقوم صراع آخر بين الحلبي الذي باع ابنته وبين نفسه، لتنصر في النهاية المصلحة المادية على الرابطة الإنسانية ويقوم ببيعها وقبض ثمنها.

وأما إبراهيم الملكاوي فتعذبه فعلته الشنعاء حيث يفشي أسرار صديقه الشرائجي من أجل أن يفوز بزوجته، ويأتي إليها مثقلاً بما فعل ولكنها تخفف ما يعانيه من ثقل باعترافها له أنها هي أيضاً قد وشت بزوجها من أجل تحقيق حب آثم.

إنّ تفكك المجتمع في ذلك العصر ليس بعيداً ولا غريباً على عصرنا، فإذا استطلعنا مجتمعنا لن نجد سوى التفكك الاجتماعي، والانغماس في المادة التي تطغي على الناس، وتجعل العلاقات قائمة على المصالح المادية، كما أن الأسرة في المجتمع العربي الحالي لا تتمتع بأصالتها.

وإذا كانت الأسرة لبنة المجتمع فعلينا أن نشهد إلى أي مدي يسير المجتمع نحو الانحدار بخطى حثيثة، ومن مجمل هذه الحالة نجد معاناة الكاتب وصراعه الداخلي بين الأمل المرجو وبين ما هو قائم فعلاً، بين الهزائم التي تتوالى على أمتنا وبين تشوفه إلى أن تخلع رداء التخلف والهزيمة ... إن رسالة الكاتب ومقصديته تمثل صرخة مدوية في وجه هذه الأمة المستكينة التي تجدد مآسيها، أن تستيقظ من غفوتها،

وأن تصحو من نومها، وليس هدفه أن يأتينا بصورة مأساوية مظلمة من التاريخ الأسود الذي مر بأمتنا في عصر تيمور، وما زال يتدرج حتى عصرنا الحالي، ولذلك فإن الأمل يحدوه في أن تثور الأمة على نفسها، وتنفض عن نفسها غبار التخلف والتراجع، ولذلك فقد وظف شخصية الشرائجي لتصرخ في وجه الموت، وهو يقضي مرفوعاً على صليبه منادياً بتحكيم العقل، وأن الله لا يقدّر على عباده الفقر والذل [36]. فينحاز الكاتب إلى هذه الشخصية لأنها تتضمن مفهومات الحرية وإرادة الحياة، وأيضاً إلى شخصية شعبان الذي أعطاه الكاتب صفات البله و الغفلة والجنون، ليكون متميزاً عن أمة مقهورة وهو يستغيث بأمة (الأمة) أن تقدم له (بزّها) لأنه عطشان من جهة وفزعان من جهة أخرى. [37]

وما أظن إلا أن هذه الشخصية يمكن أن تكون قناعاً للكاتب نفسه، الذي يتحرق غضباً من هذا المجتمع وينادي فيه أمته الحقيقية حتى تقدم له الكرامة بدلاً من الهزائم.

منمنمات تاريخية

اشتملت هذه المسرحية على فسيفسائيات متناثرة في شكل احدوثات متعددة شكلت في مجموعها حدثها الكلي، وأوحت – فيما أوحت – هذه الأحداث على موقف السلطة المتجبر، وعصبتها المتآمرة، على كل الصعد، لتكون النتيجة الوقوع في الهزيمة، التي أحدثها تيمور، وقد عبر عن هذه السلطة بفئة المستغلين من التجار (دلامة) وفئة العلماء المتنفذين والذي يسيّرون دفّة الدولة نحو تحقيق مصالحهم الخاصة متذرعين بالفقه الذي يطلب من الناس أن يكونوا مستسلمين متخاذلين، بحجة أنهم لا يصنعون أفعالهم – خيرها وشرها – فهي مقدّرة من عند الله سبحانه وتعالى.

هذه السلطة الممتدة والتي تتسلل عبر التاريخ الماضي إلى الحاضر، يمارس فيه الحكام نفس الممارسة القديمة، فالسلطة هي كل شئ، تتدبر شئون الرعية بما يناسب

مصالح القائمين عليها، وتستلب الحرية من أفراد الشعب ، وكلّ من يحاول أن يمارس حريته بطلاقة، فإنه يُحارب وُيتهم، وربما وصل به الأمر إلى الهلاك، وتكون النتيجة مجتمعاً متفرقاً متشذراً في منمنمات متعددة، تتضافر كلها لتقدم المشهد المريع الذي يعيش فيه الإنسان العربي، ولنستمع إلى ما يقوله الدكتور جابر عصفور في هذا الشأن:-

"ولأن النمنمة تصوغ رؤياً فاجعة، في تفاصيل قائمة دامية، فإن الدمار يشمل كل شئ، ولا ينجو منه إنسان أو جماد أو حيوان، كأنما نادي نسان الكون بنهاية تبسط ظلها كالجانحة الكونية التي لا تبقي ولا تذر ......(38)

إن مشكلة حرية الإنسان العربي هي الهاجس المهم الذي يستدعيه الكاتب ويوظفه عبر حوادث المرحلة التاريخية التي غزا فيها تيمور الشام، لأن في هذه الحرية تكمن العزة والكرامة المفتقدة، كما يستدعى التاريخ ليسجل موقفاً خطيراً يقوم على تباين العلاقة بين المثقف والسلوك الأخلاقي له، عبر موقف العلماء في المسرحية بين ثقافتهم وسلوكهم، كما عبر الكاتب عن إشكالية موضوع المعرفة عند (ابن خلدون) وموقف المثقف من السلطان القوي (تيمور)، وهذه الجزئيات المختلفة وغيرها: هي تلك المنمنمات القاتمة التي عبّر عنها الكاتب بوعي وصدق.

وإن قدرة الكاتب قد تجلت في استدعاء هذه الأحداث الدرامية في شكلها القصصي الجذاب دون أن يلجأ إلى سرحات الخيال - رغم أهميته - لأن تلك الأحداث التاريخية أغرب من الخيال - رغم تحققها - مثلما هي حالتنا القائمة.

خاتمة

لقد كان المجتمع التاريخي الذي عرضه لنا الكاتب مجتمعاً مفككاً بكل معني الكلمة، تسوده الفرقة، وتضطرب فيه أحوال الناس، وتشيع فيه الفاحشة، ويستشري الفساد، بمعنى أن يفقد فيه الناس إنسانيتهم ويتلاشى وعيهم الحقيقي للوجود، بحيث يتحولون إلى أدنى من أخلاقيات البشر.

لقد جعلوا من الدين وسيلة لظلم الآخرين، واتهامهم بالخروج عن الملة، فظهرت بعض الفرق التي تستعبد الإنسان، وتخبره بأن الجور الذي يقع عليه مكتوب عليه من الله سبحانه وتعالى، وأن الإنسان لا يفعل خيره ولا شره، بل كله من عند الله، ووقفوا ضد فرقة أخرى تنتزع هذا الحق من عقول هؤلاء العلماء وتقول بحرية الإرادة والاختيار.

وقام الكاتب بتشريح سلوك العلماء على مختلف أهوائهم ومشاربهم، فظهروا في صورتهم السوداء من حيث التخاذل والنفاق والتكفير والبحث عن الكسب بكل وسيلة وإن مست أسس الدين، وقام أيضاً بتقديم رؤية نقدية للعالم ابن خلدون وأثار حوله تساؤلات عدة، تقدمه في صورة متناقضة مع ما هو عليه في وعينا وفي ضميرنا، وأخيراً تحدث عن الحكام بأداته الفنية التاريخية، وألمح إلى انصرافهم إلى مصالحهم الخاصة، والحفاظ على عروشهم، وتفضيل ذلك على مصلحة الأمة.

وأخيراً، فإن الكاتب يرسم في وعينا ملامح يمكن من خلالها أن نتساءل عن الخلاص، وأين يمكن، وإلى أي مدى نضع مصيرنا بين يدي القائمين على الأمر، الذي لا يدبرون أمورنا، ولا يسعون لتحقيق كرامتنا وينصرفون عنّا في اللحظات الحالكة.

إن الكاتب يبدع التاريخ ويجدده ليكون حاضراً فينا، نتناوله ونتفحصه، ونستخلص منه كل العبر التي ترشدنا إلى الحقيقية، لكنه لم يقدم لنا التاريخ في شكله

الموضوعي المجرد والمباشر، وإنما صاغه لنا في نص مسرحي إبداعي، نجح في الحفر في واقعنا، ونبش ذاكرتنا بأسلوبه الفني المتميز، ومما يؤكد ذلك ما يقوله ونوس بأن أحداً لم: "يواجه التراث على أنه صيرورة تاريخية، وإن مسئوليتنا لا تكمن في تمجيده أو في إحياء بعض جوانبه، أو في رفضه، وإنما في كتابة الصيرورة ووعيها وتعميق دلالتها التاريخية". (39)

ثبت المصادر والمراجع

– مجلة دراسات العلوم الإنسانية والتاريخ (علمية محكمة) المجلد الخامس عشر، العدد السابع – عمان 1988، بحث بعنوان تيمور لنك وصف موجز لسيره حياته، بقلم الكاتب الروسي: ا.يو. يكوبوفسكي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، ص 110 – 112.

– نفسه، ص 102.

– تاريخ سورية ولبنان، د. فيليب حتى، ترجمة: جورج حداد، وعبد الكريم رافق، مراجعة: جبرائيل جبور، ج2، دار الثقافة بيروت، 1951، ص 296.

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي الأتابكي، تعليق محمد حسين شمس الدين، الجزء الثاني عشر، ص 201.

– نفسه، ص 201.

– مجلة دراسات العلوم الإنسانية والتاريخ، يكوبوفسكي 126، 127، وانظر عصر سلاطين المماليك، محمود رزق سليم، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، المجلد الثاني، ط2، 1962، ص 255 وما بعده.

– منمنمات تاريخية، سعد الله ونوس، دار الآداب، بيروت، ط1، 1996، ص 22، 23.

وابن النابلسي هو شمس الدين النابلسي الحلبي، والتاذلي هو برهان الدين التادلي، نسبة إلى تادلة، من جبال البربر بالمغرب، وهو قاضي المالكية في دمشق وهما من علماء النقل، وأما جمال الدين فهو جمال الدين عبد الله بن إبراهيم بن خليل البعلبكي الدمشقي المعروف بابن الشرائجي الشافعي وهو من العقليين.

– هو تقي الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي، قاضي الحنابلة، وهو مع النقل.

- النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، حسين مرّوة، دار الفارابي، الجزء الأول، ط6، بيروت 1988، ص 683، وأنظر الملل والنحل للشهرستاني الجزء الأول، القاهرة، ص 49، وأنظر أيضاً فجر الإسلام، أحمد أمين، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط11، العباسية، القاهرة، 1975، ص 284.
- فجر الإسلام، ص 284.
- النزعات المادية في الفلسفة الإسلامية، ص 594.

والقدرية ظهرت قبل المعتزلة على يد الثالوث: معبد الجهني، وعمرو المقصوص، وغيلان الدمشقي، وقد أرسى هذا المذهب قاعدته على فكرة حرية إرادة الإنسان ومسئوليته عن أفعاله وأصبحت هذه القاعدة أحد الأسس التي قام عليها الفكر العقلاني المعتزلي، ويقول د.أحمد محمود صبحي في كتابه الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، أن القدرية قد جاءت كرد فعل للجبرية التي سار عليها الأمويون ليبرروا ارتكابهم للمظالم باسم الحق الإلهي ويهدرون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم بحجة أن أعمالهم تجري على قدر الله (ص 156 ، 157) وهو ما ورد عند حسين مروّه ص 583، وقد ذكر ذلك أيضاً د/إبراهيم مدكور في كتابه في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ص93.

- منمنمات تاريخية، ص 23، 24.
- نسبة إلى الجهم بن صفوان زعيم الجهمية التي تؤمن بالجبر.

وانظر : في الفلسفة الإسلامية. د.إبراهيم مدكور، ص 100.

وانظر : في موضوع الجبرية، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، د/أحمد محمود صبحي، ص 155، والفرق بين الفرق للإمام البغدادي - تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص 104 وما بعده، وكتاب ضحى الإسلام، أحمد أمين، المجلد 3، ط8، مكتبة النهضة المصرية 1973، ص44.

- منمنمات تاريخية، ص 26، 27 (والنار هي التي تشتعل في كتب الشرائجي).
- تاريخ سورية ولبنان، د.فيليب حتى، ترجمة، د/جورج حداد، ود.عبد الكريم رافق، مراجعة، جبرائيل جبور، دار الثقافة – بيروت، 1951، ص296.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ص 179.
- منمنمات تاريخية، ص 64.
- منمنمات تاريخية، ص 72، 73.
- منمنمات تاريخية، ص 73، 74.
- مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 24.
- نفسه، ص 110.
- نفسه، ص 125.
- نفسه، ص 240.
- منمنمات تاريخية ص 75، 76.
- منمنمات تاريخية، ص 76.
- منمنمات تاريخية، ص 77.
- منمنمات تاريخية، ص 85.
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان، عبد الرحمن بن خلدون، المجلد السابع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1، 1992، ص 619، 620.
- منمنمات تاريخية، ص 98.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص 623.

- قدّم له مصحفاً رائعاً، وسجادة أنيقة، ونسخة من قصيدة البردة، وأربع علب حلوى من حلاوة مصر الفاخرة، انظر العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص 624.
- هكذا كان يطلق العرب على تيمور أحياناً، بكسر التاء وضم الميم، وقد ورد ذلك في كتاب ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر.
- السلطان فرج برقوق.
- منمنمات تاريخية، ص 44.
- منمنمات تاريخية، ص 30.
- منمنمات تاريخية، ص 147.
- منمنمات تاريخية، ص 148.
- فصول، د.جابر عصفور، مقال حول منمنمات تاريخية، المجلد السادس عشر، العدد الأول، صيف 1997، ص 395.
- الأعمال الكاملة، سعد الله ونوس، المجلد الثالث، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق 1969، ص 237.